الدولـة النبويـة

الشيـخ أبو حمزة المهاجر (تقبله الله)

وزير الحرب بدولة العراق الإسلامية

تنسيق و ترتيب

الراجي عفو ربه

د. عبد الله القرشي الشامي

10 شوال 1437

مقدمة الشيخ أبي حمزة المهاجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الملك, المتنزه عن الجور, والمتكبر عن الظلم, المتفرد بالبقاء, السامع لكل شكوى, و الكاشف لكل بلوى, والصلاة والسلام على من بُعث بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

أما بعد ..

فلا بد أن يعلم كل موحد أن كل ملل الكفر على اختلاف مشاربها و مناهجها و تضارب مصالحها تدرك جميعاً أن وصول الجهاد في مكانٍ ما إلى مرحلة الحكمِ حكمِ الله في الأرض وإعادة الخلافة الإسلامية أمر خطير دونه خرط القتاد وشلالات الدماء وهي القضية التي أجمعوا أنه لايمكن السماح بها أو المهادنة فيها فسخروا لذلك كل وسيلة ممكنة ضاربين عرض الحائط كل المبادئ الأخلاقية والمحسنات الجمالية التي طالما دجلوا بها على عباد الله المستضعفين ولأننا وللأسف جيلٌ ولد ونشأ في ظل حكم الذل والخنوع وبعدت عنا كل معاني العزة والكرامة ونسينا مجدنا و تاريخ بنائه كان لابد لنا أن نعود قليلاً إليه وخاصة إلى ما هو متعلق بمفهوم الدولة النبوية و ظروف نشأتها ولأنه قد انطبع عند كثير منا أن مفهوم الدولة الإسلامية هو نفس مفهوم الدولة الطاغوتية التي رسمها سايكس بيكو دولة صدام والأسد واللامبارك .

وبعضنا يفهم خطأً أن مفهوم الدولة التي ينبغي قيامها وإعلانها هي دولة الرشيد يخاطب فيها السحابة في السماء ويغرف الذهب كالماء ويرسل الجيوش التي أولها عند عدوه وآخرها في بغداد.

فهيا بنا نتجه إلى المدينة النبوية لنرقب ولو شيئاً يسيراً من حركة بناء الدولة النبوية, وهل كانت المدينة فحسب ملاذاً آمناً يأوي إليها المستضعفون من المؤمنين أم أنه عهد جديد من التضحية بالنفس والمال وفصلٌ آخر من فصول الفقر والخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ؟

ونريد أن نعرف هل قامت الدولة النبوية أول ما قامت قويةً راسخة متينة لا تهزها الريح ولا تأخذ فيها الفتن أم أن القلوب بلغت الحناجر وظنَّ الناس بربهم الظنون ؟

هل صحت مزارع القوم ونشطت تجارتهم وزاد عدد رجالهم, أم حصد القتل في سبيل الله شبابهم وشيوخهم وتعطلت تجارتهم وبارت مزارعهم ؟

هل كانت تلك الدار عذبة الماء طيبة الهواء أم أنها أرض كثيرة الوباء آجلة الماء ؟

هل كانت الجيوش النبوية وافرة العدد والعدة, أم كما وصف الله (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) في قلة العدد ورثاثة العدة وضيق المعاش ؟

وأخيراً فإن الداعي لهذه التذكرة عن مفهوم الدولة أننا في العراق ومعنا كل موحد نشعر بالفرح والسرور أننا وبعد أيام قليلة ستمر علينا الذكرى الثانية لقيام دولة الإسلام في بلاد الرافدين .. سنتان من الصبر والثبات والتضحية والفداء .. سنتان وما زالت باقية, نحصد رؤوس المحتل وأعوانه, نغيظ الكافرين و نشفي صدور المؤمنين .

سنتان أجرينا بدمائنا سفينتها وبجماجمنا أعلينا بنيانها .. سنتان وشباب الإسلام في العراق ثابتين على أمر الله رغم المحن و الفتن وقذائف الباطل التي طعنت ظهورهم من أصدقاء الأمس, وقديماً قالوا : الضربة التي لا تقصم تقوي .

فالحمد الله أننا اليوم أكثر ثباتاً ويقيناً بنصر الله وأشد فرحاً وتمسكاً بدولتنا (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) .

الباب الاول :

صفة الدار التي هاجر إليها الرسول عليه الصلاة والسلام

فما هي صفة الدار التي هاجر رسول صلى الله عليه وسلم إليها وأقام فيها دولة الإسلام الأولى ؟

روى الإمام أحمد والشيخان وابن اسحق عن عائشة رضي الله عنها قالت : "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى ، وكان واديها يجري نجلاً . يعني ماء آجناً- فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه" .(1)

وفي الموطأ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال : " لما قدمنا المدينة نالنا وباء من وعكها شديد, فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون في سبحتهم قعوداً, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلاة القاعد مثل نصف صلاة القائم" .

وعن عائشة رضي الله عنها كما في الصحيح , أن بلال لما وَعِكَ كان يقول : "اللهم العن شيبة ابن ربيعة, وعتبة ابن ربيعة, وأمية ابن خلف, كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء", ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد, اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجُحفَة", قالت: "وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله", قالت : "فكان بُطحانُ يجري نجلاً, تعني ماء آجناً" (2).

قال ابن بطال رحمه الله : "فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه من الحمى والوباء خشي كراهية البلد لما في النفوس من استثقال ما تكرهه فدعا الله في رفع الوباء عنهم وأن يحبب إليهم المدينة كحبهم مكة أو أشد" .

---

(1)قال هشام : وكان وباؤها معروفا في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبيئا فأشرف عليه إنسان قيل له : انهق كنهيق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي ، وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى نهيق الحمار إنني لجزوع

(2) وأخرج الإمام مالك رحمه الله في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عائشة قالت : وكان عامر بن فهيرة يقول:

قد رأيتُ الموتَ قَبْلَ ذَوْقِه   إن الجبانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ

فهذه حمى المدينة ضربت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن عائشة رضي الله عنها تقول عن أبيها وبلال: "فقلت يا رسول الله إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى", وأن بعض من هاجر إليها نكص على عقبيه ولم يتحمل وباء المدينة, كما ثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم أن نفراً من عُقلٍ ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام فاستوخموا الأرض وسقمت أجسادهم وعند البخاري فاجتبوا المدينة وعند أحمد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم أهل ضرعٍ ولم يكونوا أهل ريف و شكوا حمى المدينة .
وفي الصحيح عن جابر بن عبدالله أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأصاب الأعرابي وعكٌ بالمدينة فأتى الأعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله أقلني بيعتي", فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) .

مما سبق يتبين أن الأرض التي اختارها الله لهجرة نبيه وإقامة دينه كانت أرضاً شديدة الوباء آجلة الماء حتى أن كبار الصحابة كبلال رضي الله عنه استعظم بلاءها ودعا على من كان سبباً في المجيء إليها من الكفار وهو من هو في تحمل البلاء ومع ذلك لم يكن هذا الوباء وذلك البلاء أبداً ليجيز لأحد أن يترك دار الهجرة ويرتد على عقبيه كما في قصة العقليين والأعرابي السابقتين .
وبقي الصبر على بلاء المدينة من علامات سعادة المرء حتى بعد موت رسول الله صلى الله عليه سلم ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحَرَّة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أنه لاصبر له على جهد المدينة ولأوائها, فقال: "ويحك لا آمرك بذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً " .

---

(1) وقد اخرج البخاري والنسائي والإمام مالك بعد هذا الحديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وأخرج الإمام البخاري في صحيحه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير الخبث

الباب الثاني :

الحالة الأمنية في بداية الدولة النبوية

هذا ولقد كانت حياة الصحابة الكرام في الدولة النبوية حياة خوف ووجل وترقب وحذر دائم وخاصة في مرحلة تأسيسها الأولى وأيام المحن, ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس, قال: ولقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً, قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ (1) وهو متقلد سيفه فقال: " لم تُراعوا , لم تراعوا (2) ", ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وجدت بحراً " يعني الفرس ".

فدل استنفار الناس لأجل الصوت أنهم كانوا يفزعون ويستنفرون لأدنى خطر ولو كان احتمالياً كصوت صخرة وقعت من قمة جبل وهو ما يشابه اليوم أصوات الانفجارات التي يحدثها العدو – أبعده الله-.

وهكذا الأمة إذا كانت في حالة حرب وقرب من العدو وتوقع مداهمة وهجوم في أي لحظة ينبغي لها أن تتعامل مع الخطر ولا تتجاهله, قال المهلب رحمه الله : "ولكن النبي لما رأى الفزع المستقبلي علم أنه ليس يُكاد لما أخبره الله في قوله: (والله يعصمك من الناس)" . اهـ

وهنا فائدة هامة خاصة بالأمير أو الإمام قال ابن بطال رحمه الله: " وجملة ذلك أن الإمام ليس له أن يسخو بنفسه لأن في ذلك نظماً للمسلمين وجمعاً لكلمتهم". وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أول قدومه المدينة يرهق نفسه في حراسة نفسه حذراً من الأعداء وأخذاً بالأسباب إلى أن نزل قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس), ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم سَهِراً فلما قدم المدينة قال: "ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة

"، إذ سمعنا صوت سلاح, فقال : "من هذا ؟ ", فقال : "أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك", ونام النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية حتى سمعنا غطيطه .

---

(1)عري يعني لا سرج له

(2) لم تراعوا وفي رواية لن تراعوا كما عند البيهقي وتعني أن ليس هناك ما يروعكم ويضركم قال الإمام النووي رحمه الله (وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك)

وهذا مما يؤكد على أهمية الحراسة والحذر من العدو

وعند النسائي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة يسهر من الليل, فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب من طول الحراسة ولا يجد للنوم طعماً حتى تمنى أن يأتي من يحرسه ولا يكون ذلك إلا لشدة حذره واحتياطه صلى الله عليه وسلم, وقد كان صلى الله عليه وسلم نعم الحارس فمع شدة تعبه سمع صوت السلاح في الليل وقام يستكشف الخبر, قال الحافظ في الفتح: " وفي الحديث الأخذ بالحذر و الاحتراس من العدو, وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل, وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحاً, وإنما عانى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع قوة توكله للاستنان به في ذلك, وقد ظاهر بين درعيه مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل, وأيضاً فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب لأن التوكل عمل القلب وهي عمل البدن".

وفي الأحاديث السابقة فوائد أهمها وقفتان:

الوقفة الأولى:

في قوله رضي الله عنه: " فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة وهو متقلد سيفه", فالحديث يوضح بجلاء مدى جاهزيته صلى الله عليه وسلم للقتال وفي أقل زمن ممكن, وأن سلاحه صلى الله عليه وسلم وأدوات قتاله لم تكن في مخبأ بعيد بل كان يحمل سلاحه أو بين يديه, فكان أسرع الناس استجابة للصوت وأكثرهم جاهزية.

ولقد ذهب السادة الشافعية إلى وجوب حمل السلاح وحرمة تنحيته فضلاً عن ضمه إذا كان ثمة خوف من الأعداء, ويتأكد ذلك إذا كان الجهاد فرض عين, قال الله تعالى : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً) .

قال ابن كثير رحمه الله: " وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولي الشافعي ويدل عليه قوله: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ), قال القرطبي رحمه الله: " وقال أهل الظاهر: "أخذ السلاح في صلاة الخوف واجب لأمر الله به إلا لمن كان به أذى من مطر فإذا كان ذلك جاز له وضع سلاحه", قال ابن العربي: " إذا صلوا أخذوا سلاحهم عند الخوف", وبه قال الشافعي وهو نص القرآن "

ويتضح من كلام ابن العربي السابق أن وجوب حمل السلاح محمول على الخوف من العدو عموماً سواءً أكان في الصلاة أو في غير الصلاة من باب الأولى؛ لأن حمل السلاح في الصلاة لا شك أنه يحدث نوع حركة زائدة وبه كلفة ومشقة ولكن لأجل الاحتراس من العدو وجب ذلك .

قال القرطبي رحمه الله: " وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الأحوال وترك الاستسلام فإن الجيش ما جاءه مصاب قط إلا من تفريط في حذر", وقال الضحاك : "في قوله تعالى{ وخذوا حذركم } يعني تقلدوا سيوفكم فإن ذلك هيئة الغزاة" . اهـ

فاتقوا الله يا أيها المجاهدون ولا تخبؤوا سلاحكم فإنكم في جهاد هو فرض عين عليكم, والتأهب له في كل لحظة واجب, كما أن وقوع المجاهد في الأسر هو بسبب ترك سلاحه بحجة الدواعي الأمنية, وليحمل المجاهد من السلاح ما يكون خفيف الوزن عظيم الفائدة كحزام من الرمانات اليدوية مع رشاش خفيف .

الوقفة الثانية:

وهي قوله صلى الله عليه سلم: " ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة", و في الحديث التنبيه على أهمية الحراسة وفضلها, فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عينان لاتمسهما النار: عين بكت من خشية الله, وعين باتت تحرس في سبيل الله ".

وعند الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر, حارسٌ حرس في أرض خوفٍ لعله أن لايرجع إلى أهله ".

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها ", وقال صلى الله عليه وسلم كما عند أحمد : "من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعاً لا يأخذه سلطان لم يرَ النار بعينيه إلا تحلة القسم فإن الله تبارك وتعالى يقول: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)" .

وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: " طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعثٌ رأسُه مغبرةٌ قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع ".

فعلى المجاهد إذا نام اثنان فأكثر في مكان أن يتناوب الرفقاء في الحراسة, إذا نام واحد حرس آخر, فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو والجهاد, من أجل هذا أرشد الإسلام إلى المبادرة إلى النوم بعد العشاء وعدم تضييع الأوقات فيما لا يفيد, ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره الحديث بعد العشاء.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب الناس عن الحديث بعد العشاء, ويقول: " أَسَمْرَاً أول الليل ونَوماً آخره؟" .

ولا شك أن الحراسة في سبيل الله هي عين الرباط, فالرباط هو الحراسة في مكان تخاف العدو و تخيفه.

قال صلى الله عليه وسلم: " رباط يوم وليلة في سبيل الله خيرٌ من صيام شهر وقيامه وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتَّان ". وقال صلى الله عليه وسلم: " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها".

فلا تتهاون أيها الموحد في حراسة نفسك وإخوانك, فقد علمنا أثر التهاون في الحراسة وما يجره من بلاء ومصائب, فاتقوا الله يا عباد الله و لاتضيعوا سنة رسول الله.

الباب الثالث :

الحالة الاقتصادية في الدولة النبوية

وأما عن الحالة الاقتصادية للدولة النبوية: (1)

فقد كانت تعيش الدولة النبوية الناشئة حالة فقر قاتل لم يستثنِ أحداً صغيراً كان أو كبيراً, ففي الصحيح عن أيوب عن محمد قال: "كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فتمخط فقال: بخ بخ، أبو هريرة يتمخط في الكتان؟ لقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشياً علي، فيجئ الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع ".

فهؤلاء أضياف كرام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراهم جميع الصحابة يخرون صرعى من ألم الجوع وقسوته لايملك لهم أحد شيئاً, وإذا قال أبو هريرة رضي الله عنه كما في الصحيح: "كان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب, كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته, حتى إنْ كان ليُخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها ".

---

(1) وفي هذا رد على من أنكر على إخواننا المجاهدين إعلان قيام دولة العراق الإسلامية قائلين بأن الدولة لا بد وان عليها أن توفر للناس الطعام والشراب والتعليم والطب وجعلوها أركانا من أركان قيام الدولة الإسلامية وبغيرها لا تنعقد الدولة الإسلامية

فحال المسلمين في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام شبيها بحال المسلمين اليوم في دولة العراق الإسلامية بل كان في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام أشد مرارة على أفراد الدولة ولكن بالعزم والثبات والتيقن بفرج الله يكون النصر والفرج

ولك أيها المجاهد المغمور بنعمة الله أن تتصور حالة جوع تستدعي من كريم كجعفر ينقلب بأضياف كرام وليس عنده إلا وعاء جلد به آثار سمن يقطعونه ليلعقوا ما فيه ! هذا وقد كان مجيء جعفر إلى المدينة في فتح خيبر, وإسلام أبي هريرة في نفس السنة أي في السنة السابعة من الهجرة النبوية, يعني أن حالة الفقر المؤلمة القاسية هذه كانت تضرب الدولة النبوية بعد سبع سنين من قيامها وبعد ما أنعم الله على المسلمين بغنائم خيبر, وعن حالة أضياف الإسلام وجوعهم يخبر

الصحابي الجليل كيف أنه كان يقعد لكبار القوم يسألهم عن آية من كتاب الله قائلاً: " ما سألته إلا ليشبعني ", حتى دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد لبناً في بيته أُهدي إليه فقال: " يا أبا هر ", قلت: "لبيك يا رسول الله", قال: "الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي"، قال: "وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهلٍ ولا إلى مال ولا إلى أحد, إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها, فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌّ، فأتيتهم .. الحديث "(1) .

---

(1)أخرجه البخاري وغيره :

وتكملة الحديث:

فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال النبي عليه السلام يا أبا هر. قلت لبيك يا رسول الله قال (خذ فأعطهم) قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال النبي عليه السلام (أبا هر) قلت لبيك يا رسول الله قال (بقيت أنا وأنت) قلت صدقت يا رسول الله . قال (اقعد فاشرب) فقعدت فشربت فقال (اشرب) فشربت فما زال يقول (اشرب) حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال (فأرني) فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . انتهى

وهنا تتجلى صورة من صور الإيثار وهو أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه

وكذا المسلم يجب أن يكون بين إخوانه في مواطن الشدة والبلاء

فالإيثار على النفس ما وجد إلا ليشد من عضد المسلمين

يقول الله عز وجل (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) الحشر آية 9

وهذا فارس المسلمين زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب يعمل عند يهودي في تمرات يسد بها ألم الجوع, فعند الترمذي قال: " خرجت في يوم شاتٍ من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذت إهاباً معطوباً فحولت وسطه فأدخلته عنقي وشددت وسطي ,فحزمته

بخوص النخل وإني لشديد الجوع ولو كان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام لطعمت منه, فخرجت ألتمس شيئاً فمررت بيهودي في مال له وهو يسقي ببَكَرة له فاطلعت عليه من ثُلمة في الحائط, فقال: مالك يا أعرابي هل لك في كل دلو بتمرة ؟ قلت: نعم فافتح الباب حتى أدخل, ففتح فدخلت فأعطاني دلوه فكلما نزعت دلواً أعطاني تمرة حتى إذا امتلأت كفي أرسلت دلوه وقلت حسبي فأكلتها ثم جرعت من الماء فشربت" .

وإليك موقف جوع يشق الكبد ألماً : فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً فقال: " ما تشتهي؟", قال: " اشتهي خبز بر" , قال النبي صلى الله عليه سلم: " من كان عنده خبز بر فليبعث إلى أخيه" الحديث .

ولكن أن يكون الجوع يفترس الصِّبية فهذا والله شديد فعند أبي داوود عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه دخل على فاطمة, وحسن وحسين يبكيان فقال: "ما يبكيهما؟", قالت: " الجوع" .

وعند الترمذي عن رافع بن عمرو قال: " كنت أرمي نخل الأنصار فأخذوني فذهبوا بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "يا رافع لمَ ترمي نخلهم ؟", قال قلت: "يا رسول الله الجوع" .

ولم يكن حال لباسهم وما يستر عوراتهم بأحسن من حال طعامهم, ففي الصحيح أن سائلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في ثوب واحد فقال صلى الله عليه وسلم: " أولكلكم ثوبان ؟ ".

ولقد كان هذا الثوب في أحيان كثيرة قصيراً ضيقاً لا يكاد يستر عورة الصحابي في صلاته وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فعن سهل بن سعد قال: "كان رجال يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم عاقدي أزرهم على أعناقهم كهيئة الصبيان, ويقال للنساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يستوي الرجال جلوساً" .

قال ابن بطال رحمه الله : "قال الطحاوي: إن الذين كانوا يعقدون أزرهم على أعناقهم لم يكن لهم غيرها والله أعلم, إذ لو كان لهم غيرها للبسوها في الصلاة و ما احتيج أن ينهى النساء عن رفع رؤوسهن حتى يتسوي الرجال جلوساً وتختلف أحكامهم في الصلاة وذلك مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم في الإمام: " فلا تختلفوا عليه " ولقوله: "فإذا رفع فارفعوا ", ألا ترى أن عمرو بن سلمة حين كان يصلي بقومه وتتكشف عورته لم تكن له غير تلك الجبة القصيرة فلما اشتريت له جبة سابغة تستره في الصلاة قال : "فما فرحت بشيء فرحي بها", إنما نهى النساء عن رفع رؤوسهن خشية أن يلمحن شيئاً من عورات الرجال عند الرفع من السجود" . اهـ

فهل بعد هذا الفقر من فقر؟

فقد يصبر المرء على ألم الجوع ولكن أن لا يجد مايستر عورته فهذا مؤلم وقاسٍ, وأن يرى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام هذه الحالة ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً فلاشك أن الأمر شديد, ومما يدمع عين الموحد أن حالة الفقر هذه لم تستثنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم خير خلق الله وأكرمهم وأشرفهم, ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة, قال أسامة: وأنا أشق على حذر فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه؟ فقالوا: من الجوع" , وفي رواية: رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً في المسجد يتقلب ظهراً لبطن فأتى أم سليم فقال: "إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً في المسجد يتقلب ظهراً لبطن وأظنه جائعاً", قال أنس: "فدخل أبو طلحة على أمي فقال:" هل من شيء؟", فقالت: "نعم عندي كِسَرٌ من خبز وتمرات فإذا جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه, وإن جاء آخر معه قَلَّ عنهم" . الحديث .

فتأمل أيها المشتكي من قلة الحال وضيق العيش كيف أن نبيك صلى الله عليه وسلم أصابه جَهد الجوع حتى عُرف ذلك من وجهه بل و يتقلب ظهراً لبطن من شدة الجوع وفي رهط من الصحابة يسألهم أنس ما به فيجيبون الجوع ولا أحد يملك له صلى الله عليه وسلم شيئاً, وحينما وُجِد كان كسيرات من خبز لاتصلح لضيف كريم كرسول الله صلى الله عليه وسلم, وقد كان صلى الله عليه وسلم يطوي الليالي دون أن يَطعم شيئاً صلوات ربي وسلامه عليه .

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لايجدون عشاءً وكان أكثر خبزهم خبز الشعير, نعم وأهله يا من تتمردن على أزواجكن طلباً للسعة وخاصة المجاهدين في سبيل الله, فهؤلاء نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنات الأكرمين يَجهدهم الجوع, ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "والذي نفس أبي هريرة بيده ما أشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أياماً تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا", بل أنه صلى الله عليه وسلم لم يُشبع أهله خبزَ الشعير وبنخالته كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير".

ومما يدمي القلب ولا طاقة للنفس بتصوره أن تعرف أن نبيك صلى الله عليه وسلم أرهقه الجوع حتى أضطر إلى أن يجيب دعوة يهودي في طعام قبيح بل ويرهن درعه عنده كي يأخذ شعيراً يصنعه طعاماً لأهله ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: " مشيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز الشعير وإهالة (1) سَنِخَة ولقد رُهن له درع عند يهودي بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله, ولقد سمعته ذات يوم يقول: " ما أمسى في آل محمد صلى الله عليه وسلم صاع تمر ولا صاع حب", وإن عنده يومئذ لتسع نسوة" .

قال الحافظ في الفتح في سرد قوله صلى الله عليه وسلم " ما أمسى في آل محمد صلى الله عليه وسلم صاع تمر ولا صاع حب " : " إنه لم يقله متضجراً ولا شاكياً –معاذ الله من ذلك– وإنما قاله معتذراً عن إجابته دعوة اليهودي ولرهنه عنده درعه " . ا هـ

نعم أجابَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دعوةَ يهوديّ من جوعٍ على خبز شعير وشحمٍ تغيرت رائحته, بل وألجأته الحاجةُ أن يرهن أعظم ما عند المسلم شيئاً من سلاحه, وعند يهودي, والذي في أحسن أحواله أمواله مختلطة حلالٌ بحرام قال الله تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ), ولو وَجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند أَحدٍ من المسلمين ما يستقرضه منه حتماً لفعل, قال الحافظ: " قال العلماء: والحكمة في عُدوله صلى الله عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهودي إما لبيان الجواز, أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعامٌ فاضل عن حاجة غيرهم, أو خشي أنهم لايأخذون منه ثمناً أو عِوَضاً فلم يرد التضييق عليهم" . اهـ

قلتُ : محال أن يرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه عند عدوه و إن كان معاهداً إلا لحاجة شديدة لا يمكن دفعها من غير هذا الوجه و الله تعالى أعلم. .

وحسبُك أن تعلم أنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح تُوفي ودرعه مرهونةٌ عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير أخذه طعاماً لأهله, وفي رواية: أخذها رزقاً لعياله, وعند أحمد: "ما وجد ما يفتكها حتى مات" .

---

(1) الإهالة الشحم أو ما أذيب منه والسخنة المتغيرة الريح

فهذا هو حال الرسول صلى الله عليه وسلم فهل يعاب حال بعض أمراء الجهاد في هذا العصر إن كانوا أصحاب فقر حاشا لله أن يكون ذلك

الخلاصة والشاهد في حالة الدولة النبوية

هذه حالةُ الدولة النبوية من أول نشأتها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم, جوعٌ أصاب الجميع إلى حدٍّ لا يستطيع لمن لا يعرف الجوع أن يُدرك خطره, ومع ذلك ما سمعنا قط مسلماً ولا حتى منافقاً يطعن في دولته صلى الله عليه وسلم قائلاً أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يجد ما يطعم نفسه وأصحابه فكيف يحاصر نفسه ويقيم دولة لا تمتلك مقومات الدولة بل أبسط مقومات الدولة, الطعام والشراب .

الباب الرابع :

الحالة العسكرية في الدولة النبوية

وأما عن مجال الإعداد العسكري فكيف كانت حالة الجيوش النبوية ؟

هل كانت تعاني هذه الشدة نفسها أم كان للمجهود العسكري فضل على باقي الحياة المدنية ؟ ففي الصحيحين عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: "بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً قِبَلَ الساحل وأمّر عليهم أبا عبيدة ابن الجراح وهم ثلاثمئة وأنا فيهم, فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد, فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجُمع ذلك كله فكان مُزودي تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة, فقلت: و ما تغني تمرة ؟ فقال لقد وجدنا فقدها حين فنيت", وفي رواية: " خرجنا ونحن ثلاثمئة نحمل زادنا على رقابنا وعند مسلم و زَوَّدَنا جراباً من تمرٍ لم يجد لنا غيره, فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرة قال فقلت كيف كنت تصنعون بها ؟ قال نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل , وكنا نضرب بعصينا الخَبَط ثم نبله بالماء فنأكله , وعند البخاري فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط, فسمي ذلك الجيش جيش الخبط", وللحديث فوائد كثيرة, لكن الذي يتحمله المقام ثلاث وقفات :

الوقفة الأولى :

هي قوله رضي الله عنه "زودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره" وقوله "نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا". فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الخلق بالخلق وأحرصهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم الأذى وأعلم الناس بالقتال يرسلُ جيشاً في حر الصحراء وقسوتها يحملون أزوادهم على رقابهم ليس معهم من الطعام ما يبلغهم هدفهم, يقاتلون عدواً متحفزاً, ولاشك أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم مُدة الغزوة و وعورة الطريق وما يحتاجه الجندي من الزاد وكم يكفيه من ذلك وما حدُّ الكفاية منه سواء بعلمه صلى الله عليه وسلم أو بسؤال أهل الخبرة من أصحابه وخاصة أمير الغزوة, وعلمنا ذلك من قوله رضي الله عنه "وزودنا جراباً لم يجد لنا غيره".

والسؤال : هل يجوز أن يُرسل جيش حالته مثل ما مرَّ ؟ وهل تطعن حالة كهذه في الدولة الإسلامية وقوتها العسكرية ؟

نقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استفرغ الوسع في تحصيل السبب, واجتهد في طلب ما يبلغهم الهدف, ثم توكل على من بيده خزائن السموات والأرض ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

فتعذر تتمة الأسباب ليست عذراً ولا مانعاً من طلب العدو, قال صلى الله عليه وسلم : "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً".

وفي الحديث ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرص على الجهاد في سبيل الله و طلب العدو وخاصة في أوقات ضعفه , وأن فعله صلى الله عليه وسلم ليس تضييعاً للجند – حاشاه– ولا إلقاء بالنفس إلي التهلكة كما يزعم بعضهم اليوم أنه كلما خرج لعملية ليس فيها الأسباب مكتملة مستحكمة ادعى أنها التهلكة بعينها.

وأنه في فعله هذا صلى الله عليه وسلم فائدة ربانية نبوية عظيمة الشأن جليلة القدر يعلم أثرها وأهميتها من مارس الجهاد عبادة : أن الأمور لا تسير إلا باستفراغ الوُسع في طلب السبب, فإن ترك المجاهد السبب أو قصَّر في الأخذ به كان نصيبه وحظه الخذلانَ وفوات المطلوب, ومن اجتهد في طلب السبب ولم يدع لذلك حيلة ممكنة ثم توكل على الله كان نصيبه السعادة في الدنيا والآخرة (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ), قال الله تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) فلو تركت الأمرَ قائلةً: ما يُجدي فعل امرأة ضعيفة مع جذع نخلة ؟ حتماً ما سقط الثمر .

كذلك لو امتنع الصحابة أو أحدهم من أكل التمرة قائلاً: ما عساها تفعل؟ ما كان ليعيش وحتماً مات في طريقه, قال المهلب رحمه الله تعالى: " هذه التمرة إنما كانت تُغني عنهم ببركة النبي وبركة الجهاد معه, و إنما بارك الله لهم في التمرة حتى وجد لها مسداً من الجوع لأن لا تخرق العادة عن رتبتها ولا تخرج الأمور عن معهودها المتسق في حكمته مع أنه قدير أن يخلق لهم طعاماً ويجعل لهم من الحجارة خبزاً".

وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من السمع والطاعة في العسر واليسر وحسن الظن والزهد في حطام الدنيا, فخرجوا يحملون أزوادهم على رقابهم. كما فيهم مقدار ما أنعم الله عليهم من جميل الصبر وخشونة العيش التي عودوا أنفسهم عليها فمكنتهم من تجاوز المحن والصبر على المصائب والفتن.

وفيه حرصهم رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله وطلب أموال الكفار أينما وُجدوا ولو قصروا عن ذلك السبب وتكالبت عليهم المخاطر وأطبق عليهم الخوف والجوع, وقد يقول قائل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم أن الأمور مع الجيش ستؤول إلى هذا الحد ! قلت : اختلف أهل

العلم في هذه الغزوة بعينها فمنهم من ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان معهم, ولكن الراجح أنه أرسلهم ومثلما حدث في غزوة الخبط حدث في غزة ذات الرقاع وأشد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: " خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاةٍ ونحن ستةُ نفر بيننا بعيرٌ نَعتَقِبُه, فنَقِبَت أقدامنا ونَقِبَت قدماي وسقطت أظفاري, وكنا نلف على أرجلنا الخِرَق فسُميت غزوةَ ذات الرقاع لما كنا نَعصِبُ من الخرق على أرجلنا ".

والشيء الهام جداً في هذه الفائدة : أن ما أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جَهدِ الجوع وتقطُّع الأعضاء إنما كان في جهاد الطلب فقد خرجوا يطلبون أموال الكفار, فكيف يا عباد الله بجهاد الدفع؟ الدفع عن الدين والأنفس والأعراض, وقد ذكر أهل العلم أنه لايشترط له شرط كما لاتنفع معه أعذار واهية أو حجج كاذبة والله يهدي الجميع إلى ما يحب ويرضى .

الوقفة الثانية :

هو قوله رضي الله عنه "فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر", أي أن أمير الجيش أبا عبيدة رضي الله عنه جمع أزواد الناس الخاصة وأشرك الجميع في القسمة مع أنه يجوز يكون بعضهم أكثر زاداً من بعض والحاجة إليه شديدة والتمسك بماله قد يكون سبباً في نجاته.

نقل ابن بطال عن المهلب رحمه الله قوله : " فللسلطان أن يأمر الناس بالمواساة ويجبرهم على ذلك ويشركهم في ما بقي من أزوادهم إحياءً لأرماقهم وإبقاءً لنفوسهم, وفيه أن للإمام أن يواسي بين الناس في الأقوات في الحضر بثمن و بغير ثمن كما له فعل ذلك في السفر" . اهـ

وإنما فعل أبو عبيدة هذا متأسياً بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فعن سلمة رضي الله عنه قال: " خَفَّت أزوادُ القوم وأملقوا فأتوا النبي صلى الله عليه و سلم في نحر إبلهم فأذن لهم", وفي الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نادي في الناس فيأتون بفضل أزوادهم", فبُسط لذلك نطع وجعلوه على ذلك النطع فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا وبرَّك عليه, وعن سويد بن النعمان أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء وهي أدنى خيبر صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يُؤتى إلا بالسويق فأُمِرَ فيه فثُرِي . الحديث.

ففي الأحاديث السابقة ما أكدناه عن حالة الجيش النبوي وضعف تمويله, وفيه أنهم استحبوا للإمام أن يُطيب خاطر الناس ولو بالكلمة الطيبة حتى يُعطوا ما بأيديهم عن طيب نفس في أوقات الشدة أو يعدهم بثمنه حال اليسر وإلا فله أن يجبرهم على ذلك إذا كانت ضرورة كما سبق في كلام المهلب رحمه الله, وخاصة أن حديث جابر والحديثين السابقين ليس فيهما إلا الأمر بالفعل ولا أثر للكلام عن الثمن. هذا وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفعل في الحضر والسفر فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: " إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم في المدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية, فهم مني وأنا منهم " .

مما سبق يتضح جرم من دنت نفسه وخبثت طبيعته فعمد إلى مال الله وأخذ منه وعنده فضلُ زادٍ خاص به في وقت حاجةٍ ألمَّت بإخوانه وأُسَرهم وخاصة الأسرى و الشهداء, فلا هو جادَ بماله واقتسمه مع أهل العوز من إخوانه ولا ترك لهم ما يسد رمقهم فاحتال لذلك بكل حيلة, كل ذلك تحت تأثير ضعف اليقين وأنه يريد أن يترك رزقاً لعياله من بعده ولا يتعرضون لمآسٍ وجدها عند غيرهم, ألا تعست النفس الدنيئة ! فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : "خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي: " يا ابن عمر مالك لاتأكل؟" قلت: "يا رسول الله لا أشتهيه", قال : "لكني أشتهيه وهذه صُبحُ رابعةٍ لم أذق طعاماً ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر, فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم و يضعف اليقين" .

الوقفة الثالثة :

عن سبب الغزوة –وإن جاء الكلام متأخراً عمداً– وهي في قوله رضي الله عنه "نتلقَّى عيراً لقريشٍ", والعير : هي الأبل التي تحمل الطعام وغيرها, قال صلى الله عليه وسلم : " أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرتُ بالرعب مسيرة شهر, وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي, وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي", قال السعدي رحمه الله : "وذلك لكرامته على ربه وكرامة أمته وفضلهم وكمال إخلاصهم فأحلها لهم ولم ينقص من أجر جهادهم شيئاً" . اهـ

والمتتبع لسرايا النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته قبل بدر يتعجب أن جميع السرايا والغزوات قبل بدر كانت لطلب العير, فالغنيمة من أموال الكفار هي أشرف الكسب على الإطلاق وأطيبها وقد جعلها الله مصدر قوت نبينا وآل بيته فقال صلى الله عليه وسلم : "بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ", والحديث رواه الإمام أحمد واستشهد به البخاري رحمه الله .

ولقد حرم الله الصدقة والزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها طعام الضعفاء والمساكين وهي أوساخ الناس, فاقتضى مقام النبوة أن يكون كسبه صلى الله عليه وسلم وقوت عياله من كسب أولي العزم الأقوياء أرباب السيف والسلاح من الفيء والغنيمة قال الله تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فلاحاً ولا حداداً ولا نجاراً وإنما كان مجاهداً في سبيل الله تعالى يأكل من كسب سيفه قائلاً : "وجُعل رزقي تحت ظل رمحي ", قال الحافظ في الفتح : " وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح, و إلى حِلِّ الغنائم لهذه الأمة, وإلى أن رزق النبي صلى الله عليه وسلم جُعل فيها لا في غيرها من المكاسب ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب" . اهـ

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: " والأسباب التي يطلب فيها الرزق ستة أنواع أعلاها كسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال "جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري" خرجه الترمذي وصححه, فجعل الله رزق نبيه صلى الله عليه وسلم في كسبه لفضله وخصه بأفضل أنواع الكسب ". اهـ

ولقد حضَّ الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين المجاهدين على الكسب من الغنيمة وأنها أحل الحلال فقال سبحانه : { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم } , وقال: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} , وقال : {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً} .

ولذا كان صلى الله عليه وسلم يخرج بنفسه في طلب العير -أي الغنيمة- ويخرج معه أكابر الصحابة الأغنياء منهم والفقراء, وليس أدل على عظم هذا الشرف -أي طلب أموال الكفار- أن جعل الله أهل بدر أعظم أهل الإسلام أجراً وهم في الأصل خرجوا طلباً لعير المشركين, قال الله تعالى : {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ }, قال صلى الله عليه وسلم في شأن عير أبي سفيان كما في صحيح مسلم : " إن لنا طلباً فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا ", وعن كعب بن

مالك رضي الله عنه قال: " ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحداً تخلف عن بدر إنما خرج يريد العير, فخرجت قريش مغيثين لعيرهم فالتقوا على غير موعد كما قال الله عز وجل, ولعمري إن أشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر" . اهـ

فهل يقول مجاهد موحد بعد ذلك أنه لايريد أن يُقتَل في طلب الغنيمة بعد أن علم أن نبيه وكبار الصحابة كانوا يريدون ذلك وأن المنافقين هم الذين كانوا يحرصون على الغنائم التي لا قتال فيها ؟ قال الله تعالى : {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ }, قال السعدي رحمه الله: " لما ذكر تعالى المخلفين وذمهم ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها طلبوا منه الصحبة" , قال صلى الله عليه وسلم : " تكفل الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة"(1), وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين : " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم", فالأجر و المغنم بدلٌ عن الخير أي الأجر في الآخرة والمغنم في الدنيا, فأسرع أيها المجاهد إلى أطيب الكسب .

قال الخطابي رحمه الله : "وأما المال الذي يكتسب بالخيل –أي بالجهاد– من خير وجوه الأموال وأطيبها ". اهـ

---

(1) قال ابن حجر العسقلاني في كتاب فتح الباري

أي مع أجر خالص إن لم يغنم شيئا أو مع غنيمة خالصة معها أجر ، وكأنه سكت عن الأجر الثاني الذي مع الغنيمة لنقصه بالنسبة إلى الأجر الذي بلا غنيمة ، والحامل على هذا التأويل أن ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر ، وليس ذلك مرادا بل المراد أو غنيمة معها أجر أنقص من أجر من لم يغنم ، لأن القواعد تقتضي أنه عند عدم الغنيمة أفضل منه وأتم أجرا عند وجودها ، فالحديث صريح في نفي الحرمان وليس صريحا في نفي الجمع

وقال الكرماني : معنى الحديث أن المجاهد إما يستشهد أو لا ، والثاني لا ينفك من أجر أو غنيمة ثم إمكان اجتماعهما ، فهي قضية مانعة الخلو لا الجمع ، وقد قيل في الجواب عن هذا الإشكال : إن أو بمعنى الواو ، وبه جزم ابن عبد البر والقرطبي ورجحها التوربشتي ، والتقدير بأجر وغنيمة .

وفائدة أخرى هامة من الناحية العسكرية أن تعلم أن الجيوش تزحف على بطنها فطلب أموال المشركين وقطع طرق إمدادهم هو إضعاف لقوتهم وحصار لقواعدهم, فلا يمكن لأي قوة كانت أن تؤمن كل ما يحتاجه جيشها بالجو فعلى الرغم من ضخامة الأسطول الجوي الأمريكي وامتلاكه الطائرات العملاقة إلا أنه يعتمد على الطرق البرية في 70% مما يحتاجه ! ولقد أمرنا الله تعالى بحصار قواعد الكافرين وحثنا على الكمائن كأحسن أسلوب لقطع طرق إمدادهم وقال: { واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد} قال ابن كثير رحمه الله: " لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع", وقال الله تعالى : {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ } قال ابن كثير: " لا تضعفوا في طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقاتلوهم واقعدوا لهم كل مرصد".

وليكن لكم أيها المجاهدون الموحدون في جدكم أبي بصير رضي الله عنه أسوة حسنة فقد رده النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين للصلح الذي كان عقد بينهم, فلم تهن قوته ولم يقنط على قيادته بل فكر كيف يخرج من فتنته ولم ينتظر كيف ضياع فرصته فرصة طول الطريق وقلة العدد فاحتال حتى قتل من خرج فرحاً مزهواً بأسره وجاء مرة أخرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه قائلاً : " مُسعِّرُ حربٍ لو كان معه أحد, أو معه رجال " فمدحه ووصفه بالإقدام في الحرب وأنه من رجالها, كما قال الخطابي رحمه الله: " وعَرَّضَ للرجال المستضعفين أولي العزم أمثاله أن يلحقوا به, فخرج رضي الله عنه وحيداً شريداً طريدًا حيث لا أصحاب ولا أرض بهمة الرجال التي تقام بهم الدول, وبدأ في بناء قاعدة عسكرية بعيدة عن المدينة على ساحل البحر سرعان ما زاد عدد رجالها, ففي الصحيح: وينقلب منهم أبو جندل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم, فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فأنزل الله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) حتى بلغ {الحمية حمية الجاهلية} , فانظر كيف استطاعت عصبة من أولي العزم أصحاب الهمم أن تكسر جبروت قريش وتجعلها تتوسل في رد شرط كانت تظنه ويظنه المسلمون أنه مذلة ودنية في الدين, وحسبك أن تعلم هذه الخاتمة المفرحة المبكية لأسد الساحل, قال الحافظ في الفتح : فكتب رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى أبي بصير, فقَدِمَ كتابُه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فدفنه أبو جندل مكانه" . اهـ

وفائدة أخرى هامة وخاصة لنا نحن في الدولة الإسلامية الناشئة أن تعلم أيها المجاهد أنها أهم مصادر تمويل الجيش, فأي دولة إسلامية نشأت عبر التاريخ كان جل خزنتها من الغنيمة والفيء قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "الأموال السلطانية التي أصلها في الكتاب والسنة ثلاثة أصناف: الغنيمة والصدقة والفيء" . اهـ

فاحتسب يا ولي الله الأجر, وليكن في خلدك دائماً أنك تغنم الكفار والمرتدين لتطعم عوائل الأسرى والشهداء, تغنم لتمول مجاهداً آخر لا يستطيع الغنيمة, تغنم لتشتري سلاحاً تقاتل به في سبيل الله, وإياك والخروج لذات الغنيمة فالإخلاص الإخلاص .

الباب الخامس : (هام)

ملمات الدولة النبوية الأولى تعيد نفسها في الدولة الإسلامية الحديثة

بعض صور الشدة في الدولة النبوية:

ولقد مرت بالدولة النبوية أوقات محنة شديدة بالغة القسوة عظيمة الأثر, ومن ذلك ما حدث يوم أحد, فعند الطبري وغيره قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم –يعني حين خرج إلى أحد– في ألف رجل من أصحابه, حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخذل عنهم عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الناس وقال:" أطاعهم فخرج وعصاني , والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا هاهنا", فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول: "يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم", فقالوا: "لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال", فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: "أبعدكم الله أعداءَ الله فسيغني الله عنكم" ومضى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . (1)

---

(1)وعلى ذلك نزل قول الله عز وجل [وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167)] آل عمران.

وفي هذه الحادثة وقفات هامة :

أولاً :

مع الفاجعة العظيمة والموقف العسكري الحرج والخطير الذي أحدثه انسحاب ثلث الجيش وما يترتب عليه من اضطراب للخطط وخلخلة في الصفوف مع النقص الحاد في العدد والعدة, وحدث ذلك بمنطقة الشوط أي بالقرب من ميدان المعركة وعلى مشهد من الفريقين متقاتلين, وأخطر ما في هذا التصرف وأعظمه وقعاً أن الصحابة الكرام اكتشفوا فجأة أن ثلث جيشهم على أقل تقدير لم يكونوا مسلمين بل كانوا كفاراً منافقين يظهرون الحب و الولاء والنصرة ويبطنون العداوة والبغضاء والحرب, قال الله تعالى : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ }, وقال سبحانه : { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ }, وسبب

نزول الآية كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أُحُد رجع ناس ممن خرج معه, وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت :{ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ } , قال الطبري رحمه الله : "أي فما شأنكم أيها المؤمنون في أهل النفاق فئتين مختلفين والله أركسهم بما كسبوا يعني والله ردهم في أحكام الشرك في إباحة دمائهم وسبي ذراريهم" . (1)

وعند ابن القيم في زاد المعاد قال الزهري وعاصم بن عمرو ومحمد بن يحي بن حبان وغيرهم : " كان يوم أُحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله عز وجل به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخفٍ بالكفر" .

---

(1) يجدر الإشارة هنا إلى حال الأمة الإسلامية في هذا الزمان وقد كثر بها أشباه الرجال المتفيقهين والمتسلقين سلم الجهل ممن ينادون بالاعتدال وهو في حقيقة أمره انهزام مهين ، يصورون للناس أن الجهاد في سبيل الله اعتداء على الكفار وكأن الغرب الكافر كان مسالما ومن ثم قام المجاهدون بالاعتداء عليه في بلاده فكيف يكون هذا وبلاد المسلمين يرتع بها المحتل وأعوانه من أهل الردة ممن ينسبون أنفسهم للإسلام كأمثال ابن سلول لعنه الله .

وإن أهل الحق من المجاهدين لا يلتفتون إلى من خلفهم من خُذّلٍ ومنهزمين وانبطاحيين ومنافقين مهما بلغ عددهم إن هم أخلصوا نيتهم مع الله عز وجل وتوكلوا عليه بعد بذل السعة بالأخذ بأسباب النصر

الوقفة الثانية :

مع فعل كرام الشيم عظام الهمم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدى تأثرهم بتلك الكارثة العظيمة التي أطلت عليهم بقرونها فجأة بردة ثلث الجيش على أعقابهم وفيهم إخوانهم وأبناء عمومتهم ورجال عشائرهم, الواضح والحمد لله أنه لم يكن ثمة تأثير حقيقي يذكر باستثناء ما هَمَّ به طائفتان من المؤمنين هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج, قال الله تعالى : {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ}, قال الطبري رحمه الله : "هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبدالله بن أبيّ فعصمهم الله", قال جابر بن عبدالله: "وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله : {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا }", فلم يكن لهذا الإرجاف الصعب الخطير الشأن في بقية الجيش النبوي

أي أثر, بل لم ينشغلوا حينها بجدل عقيم عن أسباب الحدث ولا تداعياته المستقبلية والحالية, بل رصوا الصفوف وشحذوا الهمم وتوجهوا إلى مولاهم وناصرهم بالدعاء, وامتثلوا لأمر الله ونبيه أحسن ما يكون, وكانت منهم بعد الحدث مظاهر همة ونشاط بائنة, وأراد القائد أن يستكشف هذه الحماسة الرائعة الوقادة فقال : "من يأخذ هذا السيف بحقه ؟" فقام إليه رجال ليأخذوه وأخذه أبو دجانة ومشى به يتبختر بين الصفين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع ", قال ابن اسحاق: "ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر وكانت الهزيمة التي لاشك فيها" . اهـ

وتالله تلك هي همم الموحدين الصادقين لا يضرهم قلةُ السالكين ولا كثرةُ الهالكين مهما كانت قوة ووجاهة الهالك, ولا ضعف حال النصير, غايتهم طاعة الله وطاعة رسوله, لا يؤثر فيهم ردة شيخ عشيرة محتال أو كاهن دجال يدعي التقوى والصلاح, فهذا أبو عامر الفاسق سيد من سادة الأوس وشيخ من شيوخ الصحوات بمنطق اليوم قال ابن كثير : 'كان يعد قريشاً أنه لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان, فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعدان أهل مكة فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر, قالوا فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق, وكان يسمى في الجاهلية الراهب" . اهـ

فكان أول وأسرع وأنشط من بادر لقتاله ونزاله هو ابنه غسيل الملائكة حنظلة ترك فراش العرس وطِيب العروس ليقطع لسان وعنق أباه شيخ الصحوات, فكانت الشهادة, فهل بقي لأدعياء الوطنية وحرمة الدم الوطني حجة ؟! .

فيا جنود دولة الإسلام إياكم أن يضركم خذلان المرجفين ولا تراجع المنهزمين, فإن اللهَ والله ناصركم, وادعوا الله بالثبات, ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

روى الإمام أحمد عن عياض الأشعري يوم اليرموك قال عمر رضي الله عنه: " إذا كان قتالٌ فعليكم أبو عبيدة", قال: " فكتبنا إليه: إنه قد جاش إلينا الموت", واستمددناه, فكتب إلينا: " إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً, الله عز وجل, فاستنصروه, فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني", قال: "فقتلناهم فهزمناهم" .

الوقفة الثالثة :

في عدد جيش المسلمين يوم أحد, قال الطبري: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى أحد في ألف رجل – وهذا هو العدد الذي يكاد يُطبق عليه جميع أهل السير والمغازي وإن اختلفوا في عدد من بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم وأغلب أهل السير على أنهم سبعمئة وهذا هو الراجح ولنا على ذلك أدلة لاحقة – وقد كان القتال يوم أحد قتال دفع لم يتخلف عنه أحد إلا بعذر وهم قلة قليلة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن قتال الدفع : "فهذا وأمثاله قتال دفع لا طلب لا يجوز الانصراف فيه بحال, ووقعةُ أُحُدٍ من هذا الباب" . اهـ

فالعدو جاء يريد أن يستأصل أهل الإسلام في ديارهم, والرسول صلى الله عليه وسلم أمر الناس بالخروج لقتالهم, قال ابن القيم في زاد المعاد : "فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكّرهم وأمرهم بالجد والجهاد فخرج أهل المدينة من المسلمين للنزال شيوخاً وشباباً, فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم من كان مفيداً للمعركة ومطيقاً لها أو بلغ خمسة عشر سنة من الصبيان ورَدَّ جماعة آخرين كما ثبت في الصحيحين, ونَفَرَ الكهولُ من الرجال فهذا خيثمة أبو سعد قد استشهد ابنه سعدٌ في بدر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " قد كبرت سني ورق عظمي وأحببت لقاء ربي فادعوا الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعدٍ في الجنة", فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُتل بأُحُد شهيداً.

أي أن كل جيش الدولة النبوية يوم أحد, و بعد ثلاث سنين من إعلانها, كان سبعمئة مقاتل على أحسن تقدير لما سبق ذكره, ويؤكده ما ثبت في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس", وعند مسلم: " احصوا لي كم يلفظ بالإسلام" , قال: "فكتبنا له ألفاً وخمسئة رجل", وفي رواية: "فوجدناهم خمسمئة", ومع أن مدار الحديث كما قال الحافظ في الفتح على الأعمش لكن اختلف أصحابه عليه في العدد و قد ذهب العلماء في تفسير هذا الاختلاف والجمع بين الروايات مذاهب عدة, فبعضهم جعل العدد الأكبر لكل من أسلم من الرجال والنساء والصبيان والعدد الأقل هم المقاتلة فحسب, وآخرون ذهبوا إلى أن العدد الأقل هم مقاتلة المدينة والباقي من حولهم من مقاتلة القرى والبوادي, ولكي نؤكد أن كل جيش الدولة النبوية كان في أُحد: متى كان هذا الإحصاء ؟ يذهب الحافظ في الفتح أنه كان

يوم أحد قال : "وكأن ذلك وقع عند ترقب ما يخاف منه ولعله كان عند خروجهم إلى أحد وغيرها", ثم رأيت في شرح ابن التين الجزم بأن ذلك كان عند حفر الخندق, وحكى الداودي احتمال أن ذلك وقع لما كانوا بالحديبية, ونرجح بأن ذلك كان بعد أحد لا قبلها لقول الحافظ: " وكأن ذلك وقع عند ترقب ما يخاف منه", وهذا بالضبط ما أعنيه فقد تعرضت الدولة النبوية لهزة عنيفة بردة هذا العدد الكبير من الناس, وهل أعظم من كارثة النفاق خطراً؟ فكأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقف على حقيقة الرجال المقاتلين ويعرف عددهم بالضبط دون المنافقين, فإنه في حالة حرب مستمرة وله مع أعدائه موعد للنزال , ويؤكد ذلك ما رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي أن عدد من أحصوه ما بين الستمئة إلى سبعمئة وهو نفس العدد الذي ثبت معه صلى الله عليه وسلم بأُحد أي سبعمئة, ويقوي ذلك أن راوي الحديث هو حذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين و الله تعالى أعلم .

ويتضح مما سبق كم كان عدد جيش الدولة النبوية بعد ثلاث سنين من إعلانها .

والسؤال الهام الآن والذي كان لأجله هذا الاستطراد المطول :

هل هذا العدد هو الحد الأدنى الذي يمكن أن تقام به دولة إسلامية ؟ وما مقدار السيطرة والنفوذ ؟ هل هي مضبوطة مقيدة أم أنها نسبية ؟

ولمعرفة طبيعة سيطرة الجيش الإسلامي على الأرض لابد أن نجلي شيئاً من صورة الواقع بعد أُحد, وهو كالتالي:

سبعمئة مقاتل من المسلمين أثخنتهم الجراح وفي وضع نفسي حرج قال الله تعالى : (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ) أي حزناً بعد حزن , يقابله ثلاثمئة منافق على أقل تقدير في كامل عدتهم متلبسين بالمجتمع المسلم ومطلعين على كل عوراتهم, وكتل يهودية في غاية التنظيم الإداري والإعداد العسكري تربطهم مع المسلمين معاهدات هم أسرع الناس إلى نقضها متى وجدوا الفرصة سانحة وقد كان, مع علاقة قوية مع منافقي العرب في الباطن, كما أن هناك طائفة أقل خطراً هم من تبقى من أهل المدينة ولم يسلم وكانوا ما زالوا كثر إذا وضعنا في الاعتبار عدد من خرج في جيش الفتح بالمقارنة بأُحد وبهم من صناديد العرب المقاتلين .

ففي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم –أي يوم أحد– رجلٌ مقنع بالحديد فقال: " يارسول الله أقاتل أو أسلم ؟" قال: " أسلم ثم قاتِل", فأسلم ثم قاتَل, فقُتل, فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عمل قليلاً وأُجِر كثيراً ", وفي رواية ابن إسحق: " والله إن هذا الأصيرم ما جاء به لقد تركناه وهو منكر لهذا الأمر".

فسيطرة الجيش النبوي على الأرض نعم هي قوية وموجودة بفضل تماسك المسلمين وقوة عقيدتهم ووحدة صفهم ولكن يكدرها وبقوة الشيء الكثير –كما أسلفنا عن المجموعات الثلاث الموجودة معهم– هذا باعتبار المحيط القريب ومن هم معهم بالمدينة أما اذا قورنت هذه القوة بمحيطها الأكبر المتربص بها من قريش وباقي كفار العرب فضلاً عن الفرس والروم فيكون الأمر حينئذ أشد صعوبة. فهل كانت دولة النبي بعد أُحد ما زالت باقية عند الأدعياء المغالين في مفهوم العدد والعدة ومقدار بسط النفوذ والسيطرة ؟

وهيا بنا نقف على صورة أخرى أشد كرباً تعرضت لها الدولة النبوية وذلك في غزوة الخندق أيام الأحزاب قال الله تعالى : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا).

والصورة في غزوة الأحزاب هي كالتالي :

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يحفرون خندقاً يمنع العدو وبمشورة من سلمان رضي الله عنه (إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا), ثم يعسكر الجيش المسلم خلف الخندق وكانوا نحو ألف مقاتل وهو الراجح إن شاء الله خلافاً لما ذهب إليه أكثر أهل السير وعلى ذلك أدلة ليس هذا موضعها, قال شيخ الإسلام: " وقد كان المسلمون يوم بدر ثلاثمئة وثلاثة عشر, ويوم أحد نحو سبعمئة, و يوم الخندق أكثر من ألف أو قريباً من ذلك, أمامهم عشرة آلاف من مشركي العرب عقدوا العزم على دخول المدينة والقضاء على المسلمين, ثم فجأة ظهر عدو يهددهم من الخلف سافراً عن عدائه في أقبح صورة وهم يهود بني قريظة" .

روى الحاكم والبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال: " لقد رأيتنا يوم الأحزاب ونحن صافون قعود و أبوسفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل منها نخافهم على ذراريِنا ".

قال السعدي رحمه الله: " فحاصروا المدينة واشتد الأمر وبلغت القلوب الحناجر حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ لما رؤوا من الأسباب المستحكمة والشدائد الشديدة" . اهـ

ولقد بلغ الخوف والجوع بالمسلمين مبلغاً عظيماً إلى درجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى يوماً في الناس فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم " يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرجع أدخله الله الجنة فما قام رجل , ثم صلى صلى الله عليه وسلم هوياً من الليل ثم التفت إلينا فقال " من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع "يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة, " أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة" ...! فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد, فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني, فلما اشتد الأمر وخاف النبي صلى الله عليه وسلم على الذراري والنساء من يهود قريظة إذ لم يكن هناك مانع عسكري معتبر يردعهم عن ذلك أو حتى أن تمتد أياديهم النجسة إلى المسلمين من الخلف أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفرق جمع الأحزاب وأرسل إلى غطفان يصالحهم على الرجوع وترك القتال مقابل ثلث ثمار المدينة وجرت المراوضة على ذلك واستشار السعدين سيدَي الأوس والخزرج فقالا: " والله لا نعطيهم إلا السيف", فصوب رأيهما وقال: " إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة", ثم جاء الفرج بعد بضع وعشرين ليلة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً)

وذلك بصدق إيمانهم وحسن بلائهم وصبرهم على أمر الله وتوكلهم عليه, (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) .

هذا وينبغي أن تعلم أن المسلمين لم يكونوا قد استعدوا اقتصادياً لهذه المعركة الشرسة أو استعدوا ولم يكن عندهم ما يكفي أو يسد الرمق .

فقد شرعوا في حفر الخندق وليس عندهم ما يأكلون ويسد غائلة الجوع مع أنهم قوم هم أهل زرع ولكن اشتغلوا بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت في سبب نزوله قوله تعالى : (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: " أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل وإنما أنزلت فينا معشر الأنصار إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصريه قال بعضنا لبعضنا سراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أموالنا قد ضاعت فلو أن أقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها فرد الله علينا ما هممنا به قال فأنزل الله عز

وجل : (وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) فكانت التهلكة في الإقامة على أموالنا التي أردنا, فأَمَرَنا بالغزو".

فما صفة طعامهم يومئذ ؟ ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أنهم كانوا يأتون بملء كف من الشعير فيصنع لهم بإهالة سنخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن, ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه جوع يفتت الكبد ويدمع العين, قال أنس رضي الله عنه كما في الصحيح: " إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : "هذه كدية عرضت في الخندق" ، فقال : " أنا نازل" . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً" .

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم مر على المهاجرين والأنصار وهم يحفرون في غداة باردة فلما رأى ما بهم من النصب والجوع , قال : "اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ", فقالوا مجيبين له: " نحن الذين بايعوا محمدا .. على الجهاد ما بقينا أبدا" .

هل تخيلتم الصور السابقة كيف كانت أحوال خير الخلق وصحبه ؟؟!!!

نسأل أولئك المتكلمين عن الدولة الإسلامية بمفهوم سايكس بيكو: كم هي مساحة الدولة النبوية في المدينة ؟؟؟؟؟!

ثم كم كانت هذه المساحة أيام الأحزاب, خاصة بعد نقض يهود قريظة العهد ؟

وهل كانت الدولة الإسلامية ما زالت باقية ؟ ولماذا ؟

وهل يمكن أن تكون هذه الصورة هي الحد الأدنى للقوة التي يجب أن تكون عليها الدولة الإسلامية ومساحتها ؟

و ما مقدار بسط النفوذ على الأرض في ظل حكم إسلامي باعتبار ما حدث يوم أحد وأيام الأحزاب حيث لاشيء يمنع النساء والذراري من العدو اليهودي, وبلغ الخوف بالجيش إلى حد أنه لا يريد جندي القيام ولو كان نصيبه الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟؟؟؟

وما مقدار المنعة والسيادة بعدما فاوض النبي صلى الله عليه وسلم على دفع ثلث ثمار المدينة للمشركين وكانوا لا يحلمون بتمرة بغير ثمن في زمن الشرك ؟

والسؤال الآن :

هل الدولة الإسلامية اليوم استوفت شروط الدولة من حيث المساحة والقوة وبسط النفوذ وبالمقارنة بما كانت عليه الدولة النبوية آخذين في الاعتبار ما مرت عليه الدولتان من محن, والفرق الهائل بينهما؟؟؟؟؟

أخي الموحد .. إنني لن أتكلم عن الأنبار وعزها, وكيف أذل الله الكفر ورايته, وأعلى منار الإسلام وعقيدته على أيدي رجال الدولة الإسلامية والعدو مازال يعترف بذلك .

ولن أتكلم عن عرين الإسلام في ديالى ومعاركهم, وكيف وصل بهم العز أن احتفلوا يوماً بالقضاء على آخر سيطرة للمرتدين في عموم بعقوبة.

ولن أتحدث عن الموصل ورجالها, ولا عن فحوى اعتراف مسؤولها المرتد محافظ الحداء إنهم يفقدون السيطرة تماماً على الموصل, وإنه وزمرته محاصرون في منطقة الدواسة, وأن القوة والكلمة للدولة الإسلامية في عموم الموصل.

ولن أتحدث عن بغداد و نواحيها, ولماذا طلب الحكيم أن تكون الكرخ للسنة والرصافة للرافضة , ولماذا أطلق الأمريكان اسم مثلث الموت على الرضوانية و اليوسفية والإسكندرية, فقد كنت أتشرف يومها بمتابعة هذه المنطقة وأعرف كيف كان دخول المنطقة للأمريكان والمرتدين حلماً بعيد المنال

ولن أتحدث عن كركوك وصلاح الدين ومِنن الله فيهما, وكيف سقطت يوماً صلاح الدين بالكامل في أيدي رجال الدولة الإسلامية باستثناء تكريت .

لن اتحدث عن دير الزور وريفها

لن أتحدث عن نصف سوريا التي بات تحت سيطرة الدولة الاسلامية بفضل الله ومنته .

بل سأتحدث فقط عن الرقة .

لو فرضنا أن الدولة الاسلامية موجودة فقط في الرقة اليوم , أوليست تملك كل المقومات لتكون دولة , اذا ما قارنا وضع الرقة بوضع المدينة المنورة ؟!!

ووالله لولا خيانة المتأسلمين لما بقي في الشام والعراق شبرا إلا وحكمناه بشرع الله , وسنفعل ذلك ان شاء الله, والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .